صخرة الملتقى

تعددت اللقاءات بين جابر وآمال . . بعضها بطريق الصدفة المفتعلة التى يعدّها جابر وتتقبلـها آمال برضا، وبعضها بمواعيد فى العمل أو خارجه، وكثيراً ما التقيا على شاطئ البحر أمام صخرة جميلة نحتتها الطبيعة على هيئة قلب لتكون شاهداً على حبهما .

واستيقظت فى جابر مشاعر جديدة لم يشعر بها من قبل . . أنسته ماضيًا كئيبًا عاشه من قبل .

وتمردت عواطف آمال تريد أن تنطلق من هذا الأسر الذى قيّدها سنوات طوال عاشت فيه راهبة تقدم طقوس الطاعة والولاء لأسرتها البائسة .

عالم جديد ساحر عاشة جابر وآمال وخطوات عاشقة شهدها شاطئ البحر جيئة وذهابـًا، وآهات حلوة نبعت من قلبيهما بالقرب من الصخرة الجميلة . . صخرة الملتقى . . فتذوب مع النسيم لتعطر جوه . . وتمنى كلاهما لو أن هذا اللقاء تم منذ وقت بعيد لجعل لحياتهما الجرداء طعمًا جديداً ولونًا ورديًّا جميلاً . وتأكد أن كلاً منهما خُلق للآخر ولا يستطيع البعد عنه، وراحا فى نشوة الحب يخططان لمستقبل حلو يرفرف عليهما بظلالـه .

ويغيب جابر فى عملـه بضعة أيام . . ولكن آمال لا تغيب عن عينيه . . يراها فى أمواج البحر كإحدى عرائسه . . وبين آلات السفينة التى يعبر بها المضايق البحرية مرشداً لـها . . وامتزجت آمال بكل ذرّة فى وجدانه . . إنه لا يحلم بالإجازة إلا ليراها . . ولا يعود إلى عملـه إلا وصورتها فى قلبه وذهنه .

ولم تكن هذه العواطف الجياشة بعيدة عن آمال . . فحياتها الماضية قصة من

الحرمان والكفاح وترتيلة حزينة لأب ذاهب وأخ شهيد وأم ثكلى وشقيق صغير تتعثر خطاه فى مسيرة الحياة. . وتفزعها هذه الخواطر. . كيف تنفصل عنها وتستقل بنفسها تاركة الماضى لذكريات باهتة تستبقى الواقع منه فى أمها وشقيقها. . هذه سنّة الحياة ولا نستطيع الانفصال عنها.

ويضطرب تفكيرها قليلاً ولكن سرعان ما يعاودها الاطمئنان فقد أكد لـها جابر أن أمها وشقيقها لا ينفصلان عنهما أبدًا. . وسيعيشون معهما وفى مكان واحد. . لقد رحلت أمه منذ قليل تحمل معها آلام السنين، وستصبح أمها العوض الطيب، ففيها سيجد الحنان الذى افتقده. وما أشبههما ببعض. . فكلاهما ذاق الثكل والترمل، وشظف الحياة ولوعة الفراق، والقيام بالمسئولية التى تنوء بحملـها الجبال.

ويغيب جابر عن آمال مدة طويلة فى عمل متواصل. . ولكنهما على اتصال دائم ببعضهما عن طريق برج المراقبة، ويشتد بها الحنين وتكاد تطير من الفرحة حينما يخبرها بعودته فى إجازة قصيرة مساء اليوم ليراها.

وتتهـــادى إحـــدى السفن الضخمة بالقرب من الميناء وعليها المرشد جابر عبد الخالق، وتطلق صفارتها إيذانًا بالوصول، وتسمعها آمال كزغرودة حلوة طالما اشتاقت إليها. . وتلقى السفينة مرساها على مقربة من الشاطئ، ويأمر جابر بتوقف الآلات ويهبط مسرعًا ويركب اللنش الذى يقلـه إلى الشاطئ، وقلبه يكاد يسبقه وهو يثب بين ضلوعه، ومن على البعد يلمح آمال فى انتظاره ملوّحة لـه بيديها. . وبسرعة يتجه إليها فى لـهفة وشوق فتلقى بيدها بين يديه. . تاركة لـها الحديث الصامت الذى يعجز لسانها عن قولـه. . ونظر كلاهما للآخر نظرة طويلة أودعاها كل ما يجيش فى قلبيهما من حب ولـهفة. .

ولولا كثرة الناس المحيطين بهما لألقت بجسدها بين يديه .

جذبها من يديها برفق . . وسارا يتجاذبان الحديث بعيدًا عن أعين الناظرين . . وعاشا معًا فرحة اللقاء التى أنستهما حرمان البعد . . ولاحظت آمال الإرهاق الذى يبدو على جابر من كثرة العمل ومشقته . . فهو يواصل الليل بالنهار متنقلاً من سفينة لأخرى لايتخللـه إلا فترات قصيرة من الراحة . . قالت لـه فى إشفاق : يجب أن تقضى هذه الإجازة فى النوم لتنال قسطًا من الراحة تعينك على مواصلة العمل بعد عودتك .

فردّ عليها ويدها لم تفارق يده كأنه يخشى عليها من خبيئة الأيام : إننى لا أجد الراحة إلا معك . . وهل يمكن أن يتسلل النوم إلى جفونى وأنت قريبة منى؟ إننى أراك فى اليقظة كما أراك فى النوم، وطيفك لا يفارقنى . . فإذا انصرفتُ عنك تسلَل طيفك إلىّ فى كل مكان أذهب إليه . . فَلنعش الواقع دون أن يؤرقنى الخيال . . وتبتسمَ آمال ويسيران معا . . يستقبلان البَحر وأيديهما متشابكة . . نسيا الوقت ونسيا العالم كلـه فلم يَعُد فيه مكان إلا لـهما . . فلم يعرفا كم مضى من الوقت حتى أوشكت الشمس على المغيب . . فجلسا قبالة الصخرة التى طالما التقيا بالقرب منها وكأنها تختزن فى قلبها قصة حبهما وتشهد عليه .

كانا كطفلين بريئين وجدا فى حبهما الآمل الذى ظلا يبحثان عنه . . وطال بينهما الحديث حتى انقضى جزء من الليل .

وحانت ساعة الفراق، فتركا المكان وعادا أدراجهما، وطيوف من الأحلام الوردية تعطر الجو الذى يعيشان فيه ويسبحان فى ظلالـه .

انقضت إجازة جابر السريعة وعاد إلى عملـه وسط ضجيج الآلات وتلاطم الأمواج والمخاطر التى تتربص به فى كل وقت، ولا يدرى إن كانت الموجة التى

تلطم السفينة التى يقودها تحيّيها أو تنذرها . . فهى بساط ناعم أحيانًا . . وقبر يفتح فاه فى أكثر الأحايين .

ويعدّ جابر الأيام والساعات لتقبل الإجازة ويلتقى بآمال وينسى نفسه ويغسل متاعبه بين يديها ويشرب من عينيها نظرات تروى ظمأه . . إن فيهما عالمًا سحريًا ينقله إلى آفاق بعيدة لا يعرف لها نهاية . وواتته فرصة فذهب لزيارة شقيقه أحمد فى أحد المواقع البحرية فى سيناء . . كان متلهفًا لرؤيته . . فكلاهما غاب عن الآخر فترة ليست بالقصيرة ، ولم يلتقيا منذ أن فارقت أمهما الحياة وأسدلا بعد وفاتها ستاراً كثيفًا على ماض مليء بالذكريات تتراء من خلاله أيام الطفولة والصبا والشباب . . ولم يبقَ لهما فى السويس غير شقيقتهما زينب تمثل جزءًا حبيبًا من رحم وقرابة كادت أحداث الزمان أن تأتى على ما بقى منه .

والتقى الشقيقان فبثّ كل منهما للآخر ما يكنّه فى صدره . . ولاحظ أحمد فى جابر مرحًا وانطلاقًا لم يعهدهما فيه من قبل . . وأحس أن لدى أخيه أمرًا يريد أن يطلعه عليه . . ولم يطل صمت جابر كثيراً . . فحدّثه عن آمال وحبه لها ، وكيف التقى بها ، وتصميمه على الزواج منها حيث لا يستطيع الحياة بعيدا عنها ، ووصف له أخلاقها وصفاتها ، وأعطاه صورة كاملة عنها .

فسعد أحمد لسعادة أخيه ، واستحثه على المضى فى طريقه ، ووعده بحضور زفافه حينما يحدد الموعد وستكون معه أخته زينب . . لقد كانت أمنا ـ رحمة الله ـ عليها تتمنى أن تتوج حياتهما بهذا الحادث السعيد ولكن الأجل لم يحقق لها ما تريد .

ولم ينسى جابر أن يقول لأخيه إن ظروف آمال تتشابه مع ظروفنا فى كثير من

الأشياء . . فهى من أسرة مناضلة مات عائلـها ، واستشهد الأخ الأكبر فيها ، وشقّت الأم بمفردها صعاب الحياة لتربى آمال وأخيها الصغير .

وكأن القدر يأبى إلا أن يجمعنا بمن على شاكلتنا فيربط حاضرنا بماضينا . . وقبل أن ينصرف جابر سأل أخاه فى دعابة تحمل معنى الجد : ومتى ستتزوج يا أحمد؟ ألم يحن الوقت بعد لتفعل مثلى ويكون لك بيت وأسرة؟ إن هذا سيرضى أمنا حتى وهى فى قبرها .

فرد أحمد فى بسمة ودود : حينما أجد الحبيبة التى تشد انتباهى وتملك مشاعرى كما فعلت بك آمال . . سأتزوج . . فحياتى الآن غير مستقرة ، وإجازتك أنت تقضيها فى الإسماعيلية ، أما إجازتى فأقضيها فى بحر الرمال فوق جبال سيناء انتقل من موج صاخب إلى موج ساكت ، ولا أجد بين الموجين من يثير فى قلبى دواعى الحياة .

إنى لا أجد وقتًا للحب ، وأتخيل أحداثًا خطيرة ستقع فى المستقبل القريب ، فكل الشواهد تؤكد أن إسرائيل تعدّ العدّة لحدث هام فى صمت وتحفز ، ونجحت فى أن تسيدر عطف دول العالم ، وتظهر أمامهم فى صورة المغلوب على أمره والحمل الضعيف الذى يوشك الذئب العربى أن يفترسه . . إننا نرى هنا أكثر مما ترون أنتم هناك . . عد يا أخى إلى عملك واستعد للزفاف واستمتع بحياتك . . فلسنا نعرف ما سيأتى به الغد .

وودع جابر أخاه وأحلام عريضة ترف فى وجدانه فتجعل الدنيا أمامه وردًا وزهوراً وعطراً .